دور الالسنية فى التعريب

الأستـاذ صالـح القرمـادى

(مدير بحوث قسم الالسنية التابع لمركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية — بتونس)

« باية لغة نثقف اطفالنا ؟ .. اية عربية ؟ .. انها عربية يكون تركيبها الصرفى والنحوي والمعجمى تركيب الفصحى الحديثة المبسطة وتكون فى نفس الوقت متفتحة ...»

تواجه بلدان المغرب العربى فى الفتـرة الراهنة من تاريخها مشكلة هامة جدا يتوقف عليها تطورهـا الاقتصادي والاجتماعى والثقافى ، عنينا مشكـلة التعريب ذلك الواجب التاريخى الحتمى الذي لامناص من تحقيقه لاستعادة مستويات الذات الآيلة وبنـاء مستويات الذات المتجددة المتحركة على اساسها .

فكيف سيتسنى لهذه البلدان أن تتجاوز مرحلـة التفكير والتردد التى دامت طويلا فتتخذ لنفسهـا فى اقرب الآجال سياسية لغوية رصينة منطقية منظمة مخططة تكون غايتها تعميم استعمال اللغة القوميـة الوحيدة فى هذه الديار ، اي اللغة العربية فى جميـع مستويات حياة البلاد ؟

وكيف ستتمكن فى نفس الآن من ادخال التعديلات والتحويرات التدريجية اللازمة فى تعليم اللغـات الاجنبية من انكليزية وفرنسية وروسيـة والمانيـة واسبانية وايطالية ... باعتبارها اداة هامة — وان كانت ثانوية بالنسبة الى اللغة القومية تسمـح بالتفتح الضروري على العالم العصري ؟ وقد احتـد النقاش الايديولوجى فى بلدان المغرب العربى حـول مسالة التعريب (1) منذ الاستقلال وحـمى وطيس الحرب القلمية فى هذا الشان بين مختلف الفئـات الاجتماعية والثقافية المتعايشة فى صلب المجتمـع المغربى — فمن مدافع عن التعريب التام فورا الـى ذائد عن ازدواجية اللغة ومن قائل بوجوب استعمال اللهجات الدارجة الى مناصر لفكرة الفرنكوفونية حتى ان المتصفح للصحف والمجلات المغربية اصبح يجـد فيها جميع المواقف والانتماءات فى هذا الصدد .

وقد شرعت اقطار المغرب بعد الاستقلال — وهى مستمرة فى ذلك الى الآن — فى انجاز بعض التجارب فى ميدان التعريب اختلفت كما وكيفا من حيث درجة شمولها وتخطيطها المنطقى ومنهجيتها العلمية فاختلفت بالتالى من حيث حظها من النجاح والدوام .

ويبدو فى هذا السياق ان اثبت تجربة قيم بها فى بلدان المغرب العربى هى التى تجري الآن بالجزائـر الشقيقة . فقد ادرجت حكومة هذه البلاد منذ سنـة 1968 فى رائدها قوانين خاصة بالتعريب متبنية اياه بصورة رسمية باعتباره مهمة عظمى ينبغى انجازها ضمن برنامج انجاز المشاريع الحكومية الاخرى مـن ثورة زراعية واقتصادية وثقافية .

ومن الطبيعى فى مثل هذه الملابسات التاريخية وامام عظمة العمل الذي يستدعيه التعريب على اسس عصرية ناهضة ان تنفتح فى وجه الالسنيين المغربيـن من مغاربة وجزائريين وتونسيين آفاق عريضة للنشاط العلمى وامكانيات لا تحصى للبحث والتصنيف مـن ذلك :

1) ميدان شاسع للتنقيب العلمى الاساسى فى حقل البحوث الالسنية مثل :

وصف كامل للواقع اللغوى والاجتماعى — اللغوي فى البلاد وصفا علميا دونما تفريـط فى اى عنصر من عناصره .

(1) هذه المسالة هى الآن موضوع دراسـة التابعين لمركز الدراسات والابحاث الاقتصاديـة والاجتماعية .

— تحليل مختلف اللغات المتعايشة بالبلاد من الناحية الالسنية .

— القيام بدراسات مقارنة يقارن اصحابها فيها بين تراكيب مختلف هذه اللغات من الناحية الصوتية والصرفية والنحوية المعجمية .

2) امكانيات لا حد لها للقيام بانجازات عملية تجري على هدي تعاليم الالسنية التطبيقية منها .

— المساهمة في تعريب بعض الكتب المدرسية المستعملة في البلدان المتقدمة والخاصة بالميادين العلمية من المعرفة مثل الحسابيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية والجغرافية الطبيعية وذلك قصد استعمالها في المدارس المغربية .

— المشاركة اللغوية في تحرير الكتب المدرسية القومية باللغة العربية وذلك في المواد ذات الطابع القومي المغربي مثل التاريخ والجغرافية البشرية والاقتصاد والحقوق ...

— المشاركة اللغوية في اعادة تكوين المدرسين المغربيين للمواد العلمية من الناحية اللغوية وذلك بتلقينهم بسرعة ما يحتاجون اليه من قواعد العربية وبمدهم بالخصوص بقائمات من الالفاظ العربية المقابلة للمصطلحات الاجنبية التابعة لاختصاصاتهم .

وفي حالة ما اذا تبنت جميع حكومات المغرب العربي التعريب باعتباره مهمة رسمية يتحتم تحقيقها في نطاق مخططاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فوفرت للالسنيين المغربيين ما يحتاجون اليه في هذا المضمار من وسائل مادية وبشرية جبارة فانه يبدو لنا ان هؤلاء الاختصاصيين في اللغة مستعدون الآن لجمع قواهم وتكثيف جهودهم للمساهمة العلمية في تحقيق التعريب بوصفه مشروعا قوميا عظيما باعثا على الحماس وما من شك في ان جميع صعوبات التعريب الحقيقية الموضوعية من شأنها ان تذلل عن طريق مثل هذا العمل العلمي الثابت المثابر المخطط تخطيطا عقلانيا رصينا والجاري في نطاق برنامج حكومي واسع المدى لتنمية بلداننا تنمية عصرية متماشية ومقتضيات الحياة المتجددة . هذا وان هؤلاء الالسنيين واللغويين المغربيين المتجمعين الآن في صلب معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر ومكتب تنسيق التعريب بالرباط وفي قسم الالسنية التابع لمركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بتونس قد شرعوا بعد في التعاون والعمل المشترك . وقد تم تكييف جهودهم بالخصوص في نطاق البحث الخاص بوضع الرصيد اللغوي المغربي .

وفي نطاق هذه الدراسة المشتركة التي تضافرت عليها جهود الالسنيين المغربيين وكذلك في نطاق البرنامج العام في البحث العلمي الخاص بقسم الالسنية بالمركز نقدم اليوم لحضرات المؤتمرين لمحة عن عمل هذا القسم .

لقد اسس قسم الالسنية التابع لمركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية في بداية سنة 1964 وما انفك اعضاؤه منذ ذلك الحين يعملون جهدهم في سبيل تحقيق برنامج مزدوج الهدف .

1) القيام في مرحلة اولى واجبة بابحاث علمية اساسية غايتها وصف الواقع اللغوي التونسي بجميع مقوماته من عربية فصحى وعربية دارجة وبربرية وفرنسية الخ ... وصفا علميا موضوعيا دونما تحيز للغة دون اخرى او تفريط في واحدة منها جميعا .

2) القيام في مرحلة ثانية واجبة كذلك بابحاث واعمال تطبيقية تتمثل في وضع المعلومات والنتائج المتحصل عليها اثناء ابحاث المرحلة الاولى في خدمة تطوير الواقع اللغوي في بلادنا تطويرا عصريا وذلك بالمساهمة خاصة في التعريب بوضع مواد ووسائل بيداغوجية جديدة اهمها كتب القراءة لتعليم اللغة العربية بالاعتماد على احدث الطرق التي جاءت بها معطيات الالسنية الحديثة .

1) وهم الآنسة زهرة الرياحي والاستاذة الطيب البكوش ورشاد الحمزاوي ومحمد المعموري وعبد القادر المهيري وهشام سكيك واحمد العايد ومحمد العونلي وصالح القرمادي .

ولقد تمكن قسم الالسنية باستعمال هذه المنهجية الرصينة من القيام بعدة دراسات وبحوث نشر عدد كبير منها بتونس نخص بالذكر منه ثلاثة كراريس يتعلق واحد منها بوصف فونولوجيات بعض اللهجات التونسية وآخر بالنظر في الالفاظ المستعملة في كتب القراءة العربية بالسنة الاولى من التعليم الابتدائي وثالث بدراسة بعض مظاهر الازدواجية (او الثنائية) اللغوية ببلادنا وكذلك البحث الهام الخاص بضبط الرصيد اللغوي او مايسمى بالعربية الاساسية. كما ان اعضاء القسم عاكفون الآن على انجاز مشروع عظيم جدا يتمثل في وضع وصف السني جديد للغة

العربية الفصحى الحديثة وذلك الى جانب اهتمامهم بتعريب بعض كتب الالسنة الاجنبية وبوضع معاجم مبوبة للمصطلحات العربية المستعملة فى ميـــــدان الالسنية فى كامل البلدان العربية ٠

هذا وان تشريات قسم الالسنية التى كانت تصدر بالفرنسية بحكم بعض الظروف القاهرة الخاصـــة اصبحت الآن تنشر بالعربية فقط او باللغتين العربية والفرنسية وذلك عند الاقتضاء ولتعميم الفائدة ٠

ايها السادة المؤتمرون :

انه ليبدو لنا ان مهمتنا الاساسية اليوم تتمثـــل فى محاولة الاجابة العلمية على عدة اسئلة يتساطهـــا مجتمعنا فى نطاق تطوره وفى نطاق وحيرة لمالها من عظيم الخطر بالنسبة الى تجديد حضارتنا وشخصيتنـــا فى المستقبل :

فترى بأية لغة يجب ان نثقف اطفالنا اليـــوم وغدا ؟ وما هى اللغة التى سيجد فيها الطفل العربـــى المغربى هويته المتطورة وكذلك وفى نفس الآن الفعالية اللازمة التى ستمكنه من الخروج من النسيان التاريخى الذي ناء عليه بكلكله ومن الطفو على صفحة التاريخ٠

والواقع ان الجواب على مثل هذه الاسئلة ليس بان يقال : الامر بسيط اذ هذه اللغة هى العربيـــة بداهة وانما بان يوضع سؤال آخر هو التـــالى : اية عربية ؟ فترى ما هى العربية التى ستكون لغـــة غدنا اي لغة يتكلمها ويفهمها ويكتبها ويقراها كل فرد منا ؟ اتهل ستكون لغة القرآن ام لغة ابن قتيبة ام ابن منظور ام نجيب محفوظ ام على الدوعاجى ام لغـــة الاذاعة والصحافة ام لغة بعض القادة والزعماء العرب ام اللغة التى يتعامل بها الناس فى الشارع او بالمنزل بل اللغة التى يتخاطب بها اعضاء مؤتمرنا الموقر اذا ما خلوا الى انفسهم بعد المناقشات والمجادلات ٠

سادتى :

ان الجواب الرصين على هذه الامور لن يكـــون الا عن طريق العمل العلمى الرصين المثابر المتوقف اولا وبالذات وفى نطاق مساعدة الحكومات على تعـــاون الالسنيين والعلماء والمربين ٠

على ان تكون الفكرة الاساسية التى نقتدي بها فى هذا المضمار هى التعريب قدر الامكان بين مستويى لغتنا اى مستواها الفصيح ومستواهـــا المستعمـــل الشائع بين الناس والجماهير العربية وذلك حـــتى يتسنى لنا شيئا فشيئا اتخاذ لغة متكاملة تعبر عـــن جميع مستويات الحياة بما فيها من راق نبيل ويومى بسيط لغة يكون تركيبها الصرفى والنحوي والمعجمـــى تركيب الفصحى الحديثة المبسطـــة وتكـــون فى نفس الوقت منفتحة قابلة عند الاقتضاء للدخيل من الالفاظ الدارجة والاجنبية الضرورية للحضارة ٠ وذلك حتى يكون التعريب ليس غاية جمالية فحسب وانما وسيلة اجتماعية ثمينة تمكننا من الاتكاء على الماضى للقفز فى المستقبل وهضم التليد لاستيعاب الجديد وترك الجمود والاخذ فى الصمود ٠

والسلام عليكم